مفهومُ النَّظْمِ في علمِ المعاني بين النشأةِ والتطوُّرِ

إعداد: الباحث بكر عبد العزيز عبُّود

إشراف: أ. د. سمير أحمد معلوف – المشرف المشارك: أ. م. د. وصال الحميد – جامعة حمص – كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة – قسم اللُّغة العربيَّة

ملخَّص البحث:

النَّظمُ مفهومٌ قديمٌ في تراثنا النقديِّ والبلاغيِّ، عَرَفَهُ الدَّارسون العرب القدامى، وعالجوه بالدرس والتحليل، وكان السـبب الأكبر في ذلك إثبات إعجاز القرآن الكريم، وقد بدأت ملامح هذا المفهوم بالتبدِّي عند علمائنا القدامى بدءًا من سيبويه (- 180هـ) من خلال تقسيمه للكلام إلى مستقيم حسن، ومستقيمٍ كذبٍ، ومُحال، وهو ما يمكننا أن نُطلِق عليه تسمية (نظريَّة المواضع)، ثمَّ أخذ يتَّسع ذلك المفهوم عند من جاء بعده من الدارسين والمهتمِّين بمجال اللُّغةِ العربيَّة، إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني (- 471 – أو 474هـ) الذي جعلَ منهُ نظريَّةً قائمةً بذاتها في كتابه (دلائل الإعجاز)، وقد عمد هذا البحث إلى دراسة نشأة مفهوم النَّظم وتطوُّره عند علمائنا القدامى والمقارنة بين رؤية كُلٍّ من القاضي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني لهذا المفهوم.

الكلمات المفتاحيَّة: النَّظم، السِّياق، المعنى، الدلالة، الطريقة، الإبدال، الموقع، الإعراب.

The concept of organization in semantics between origin and development

By Bakr Abdel Aziz Abboud

Supervised by Professor Samir Ahmed Maalouf

Co – Supervisor: Prof. Dr. Wisal Al-Hamid

Department of Arabic Literature, Faculty of Arts, Al-Baath University

Abstract:

The concept of organization is an ancient concept in our critical and rhetorical heritage, known to ancient Arab scholars, and dealt with it through study and analysis. The main reason for that was to prove the miraculous nature of the Holy Quran. The features of this concept began to appear among our ancient scholars, starting with Sibawayh (180 AH) through his division of speech into straight, good, straight, false, and impossible, which we can call (the theory of positions). Then that concept began to expand among those who came after him from scholars and those interested in the field of the Arabic language, until Abdul Qaher Al-Jurjani (471 or 474 AH) came, who made it a theory in its own right in his book (Evidence of the Miracle). This research aimed to study the emergence of the concept of organization and its development among our ancient scholars and to compare the vision of each of them.

Judge Abdul Jabbar and Abdul Qaher Al-Jurjani for this concept.

Keywords:

contextual systems, meaning, connotation, method, substitution, position, syntax.

- **المقدمة:**

النَّظمُ مفهومٌ قديمٌ عَرَفَهُ الدَّارِسُـــونَ العربُ القُدَامَى، وعَالَجُوهُ بالدَّرْسِ والتَّحْليلِ، وكان السَّـــبَبُ الأكبَرُ في ذلك إثْبَاتَ إعجازِ القرآنِ الكريمِ، فالقرآنُ كلامُ الله أَنْزَلَهُ على ســـيِّدنا محمَّدٍ ليكونَ بُرْهَانًا على دَعْوَتِهِ ورِسَـــالَتِهِ، فقَدْ جَعَلَ الله تعالى لكُلِّ نَبيٍّ مُعْجِزَةً،[1] " وكانت مُعْجِزَاتُ الأنبياءِ السَّابقين مسوقةً بِحَسبِ مَهَارةِ أقْوامِهِم في فنٍّ يَعْجَزُ عنه فيه سِـــوَاهُم، فتأتي المعجِزَةُ على يدِ نبيِّهم المُرْسَـــلِ إليهم لتَدْحَضَ مَهَارَتَهُم، وتُعْجِزَ فنَّهم (...) فلمَّا بُعِثَ محمد في قومٍ جُلّ فَخْرِهِم الفصاحة والبلاغة أُعْطِيَ القُرآنَ الكريمَ تحدِّيًا لبلاغتِهِم وإعجازًا لهم أن يأتُوا بِمِثْلِهِ، أو بِنِصْفِهِ، أو بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْهُ، أو بآيةٍ واحدةٍ "[2]، قال تعالى: ((وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة مّن مّثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين))[البقرة: 23]

وفي سـبيلِ ذلك كانت نَظَرِيَّةُ النَّظمِ عند القاضـي عبد الجبَّار في كتابه (المغني في أبواب العدل والتوحيد) في دراســـته عن النَّظم، وكذلك عبدِ القاهرِ الجُرجَانيِّ، وذلك في كِتَابَيْهِ (دَلَائِلُ الإعْجَازِ) و(أسْـرَارُ البَلاغةِ)، إذْ أرَادَ من خِلَالِهما أنْ يُثبِتَ إعجَازَ القُرآنِ الكريمِ، " فكلا الكتابين لا يفتأ يدور جول نظريَّة واحدة هي نظمُ الكلامِ وترتيبُ معانيهِ، غير أنَّ

---

(1) المعجزة لغةً: هي ضـعف القدرة عن الشـيء وعدم القدرة عليه، جاء في المعجم الوسـيط: " (المُعْجِزَةُ) أَمرٌ خارقٌ للعادة يُظْهِرُهُ اللهُ على يد نبيٍّ تأييدًا لنبوَّته. و – ما يُعجز البشـر أَن يأْتوا بمثله ": المعجم الوسـيط، نخبة من اللغويِّين بمجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، ط4، 2004م، مادة (عَجَزَ)، ص: 585

أمَّا المعجزة اصطلاحًا فقد وردت وفق معنًى قريبٍ من المعنى اللغوي: ذَكَرَ السيوطي (- 911هـ) في كتابه (الإتقانُ في عُلُومِ القُرآنِ) أنَّ المُعْجِزَةَ: هي " أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرون بالتحدِّي، سالمٌ عن المعارضـة؛ وهي إمَّا حسِّيَّة وإمَّا عقليَّة ": الإتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين السُّـيُوطِيِّ، تح: محمد أبو الفضـل إبراهيم، وزارة الشـؤون الإسـلاميَّة والأوقاف والدعوة والإرشـاد، المملكة العربيَّة السُـعُوديَّة، د.ط، د.ت، مج4، ص: 3، وللتوسـع يُنظر: مناهِلُ العرفَان في عُلُومِ القُرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: فوَّاز أحمد زمَرلي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1995م، ج1، ص: 63

(2) مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2003م، ص: 157

أحدهما يؤكِّدُ جانبَ بناءِ الكلامِ وصِـــلَةَ معانيهِ بعضـــها ببعض، وثانيهما يؤكِّدُ الجانِبَ التأثِيْرِيِّ من هذه المعاني وبيان مسالِكها إلى النُفُوسِ "[1].

ومن هنا تكمن أهميَّة دراســـة مفهوم النَّظم من حيث نشـــأتُه وتطوُّره على أيدي علمائنا القدامى لاسـيَّما عندَ القاضـي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني، حتَّى نَسْـتطيعَ أنْ نُكوِّنَ نَظرةً شَامِلةً حول رؤية كُلٍّ منهما لهذا المَفهومِ.

- **أهميَّة البحث:**

إنَّ الحديث عن نشـــأة مفهوم النَّظم وتطوُّره يمنح المتلقِّي قدرةً على فهمِ النَّصِّ اللُّغويِّ، لأنَّ المتلقِّي بذلك يســـتطيع أنْ يُدرك المراحل التي مرَّ بها مفهوم النَّظم إلى أنْ أصـبحَ نظريَّةً متكاملةً عند عبد القاهر الجرجاني، يضـاف إلى ذلك أنَّ بحث مفهوم النَّظم من الأبحاث المهمَّة لأنَّه يهدف إلى دراســـة الاختلاف بين فهم علمائنا القدامى لذلك المفهوم لا سـيَّما عند عبد القاهر الجرجاني والقاضـي عبد الجبَّار الأسـدآباذي اللذَين كان لهما الأثر البالغ في تطوير ذلك المفهوم وإيصـــاله إلى نظريَّة متكاملة لها معايير ها وأصولها.

- **مشكلة البحث:**

لا بدَّ لكلِّ بحثٍ أكاديميٍّ من أنْ يواجه بعض المشـكلات التي قد تعتري الباحث عند الخوضِ في غمار البحث، ومن بين تلك المشـــكلات التي واجهتني مشـــكلة تحديد المفهوم، فمفهوم النَّظم يحتاج إلى توخِّي الدِّقَّة في التأصـــيلِ له نظرًا لتعدّدِ آراء علمائنا القدامى الَّذين تحدَّثوا عن هذا المفهوم، بدءًا بالإلماح له عند سيبويه وصولًا إلى التصريحِ به والتقعيد له وجعلِهِ نظريَّةً متكاملة الأركان عند عبد القاهر الجرجاني، وتبعًا لذلك فإنَّ مشـــكلة البحث تتلخَّص في معرفة وجهات نظر العلماء القدامى حول مفهوم النَّظم، والمقارنة بين القاضـــي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني فيما يتعلَّق بفهمهم لقضـــيَّة الإعجاز من خلال مفهوم النَّظمِ الَّذي جعلاه من الأدلَّة على إعجاز القرآن الكريم.

---

[1] من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، محمد خلف الله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ط، 1947م، ص: 75

- **هدف البحث:**

يهدف البحث إلى التعريف بمفهوم النَّظم والكشـــف عن بدايات ظهوره عند علمائنا القدامى والمقارنة بين فهم كُلٍّ من القاضي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني لهذا المفهوم وأثره في بيان إعجاز القرآن الكريم.

- **منهجيَّة البحث:**

سـنتَّبع في بحثنا هذا المنهج التاريخي، لأنَّ هذا المنهج يقوم بتتبُّع نشـأة الظاهرة الأدبيَّة تاريخيًّا من أجل الكشف عن بدايات نشأة مفهوم النَّظم، بالإضافة إلى اتِّباع المنهج الوصـــفي التحليلي، لأنَّ هذا المنهج يقوم بوصـــف الظاهرة الأدبيَّة وتحليلها للإبانة عن أوجه الاتِّفاق والاختلاف بين القاضـــي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني حول مفهوم النَّظم ومعرفة رؤية كُلٍّ منهما تجاه هذا المفهوم.

- **هيكليَّة البحث:**

تقسم الدراسـة إلى مبحثين، في المبحث الأوَّل تمَّ الحديث عن نشـأة مفهوم النَّظم من خلال تعريفه عند الدارســـين القدامى للنحو العربي واللُّغة والبلاغة، وفي المبحث الثاني تمَّ الحديث عن تطوُّر مفهوم النَّظم من خلال الحديث عن أوجه الاتفاق والاختلاف بين القاضي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني حول مفهوم النَّظم.

أولًا: نشأة مفهوم النَّظم:

- **النَّظْمُ لُغَةً:**

وردَ مفْهُومُ النَّظمِ عندَ عُلماءِ اللُّغةِ بمعْنَى التأليفِ وضَـمِّ الشَّـيءِ إلى شـيءٍ آخرَ، وهذا ما أوردَهُ ابن مَنْظُور (- 711هـ) في مُعْجمِهِ (لِسَانُ العَرَبِ) حيثُ ذَكَرَ أنَّ النَّظمَ هو " التأْليفُ، نَظَمَه يَنظِمُه نَظْمًا ونِظامًا ونَظَّمه فانْتَظَم وتَنَظَّم. ونَظَمْتُ اللؤلؤَ أَي جمعته في

السِّـلْك، والتنظيمُ مثله، ومنه نَظَمْتُ الشِّـعر نَظَّمْته، ونَظَمَ الأَمرَ على المثل. وكلُّ شـيءٍ قَرَنْتَه بآخر أَو ضَمَمْتَ بعضَه إِلى بعض، فقد نَظَمْته. والنَّظْمُ: المَنْظومُ، وصف بالمصْدر. والنَّظْمُ: ما نظَمْته من لؤلؤٍ وخرزٍ وغيرهما (...) والنِّظامُ: الخيطُ الذي يُنْظمُ به اللؤلؤُ، وكلُّ خيطٍ يُنْظَم به لؤلؤ أَو غيرهُ فهو نِظامٌ (...) والانتِظام: الاتِّساق."[1]

وذَكَرَ الزمخشري (- 538هـ) في أساس البلاغة أنَّه " من المجاز: نَظَمَ الكلام. وهذا نَظْمٌ حسنٌ، وانتظم كلامُه وأمره. وليس لأمره نظام إذا لم تستقم طريقَتُهُ "[2].

- **النَّظمُ اصطلاحًا:**

لقد ارتَسَمَتْ ملامِحُ المعنى الاصْطِلاحيِّ لِمَفهومِ النَّظْمِ على أَيدي عُلمائنا القُدامى بدءًا مِنْ سِـيبويه (- 180هـــــ) وصـولًا إلى مَرحَلةِ الاكتِمَالِ والنُّضْـجِ عندَ عبدِ القاهرِ الجُرجانيِّ (- 471 – أو 474هـــــ) في كتابِهِ (دلائِلُ الإعْجَازِ)، فمفهومُ النَّظمِ كانَ في بداياتهِ عِبارة عن آراءَ مبسَّطة أدلى بِها بعْضُ النُّحاةِ ثُمَّ أخذت تتَّسعُ شيئًا فشيئًا، فطوَّرها عبدُ القاهرِ الجُرجَانيُّ وارتبطت عنده بقضـــيَّة الإعجازِ، وقد بيَّن أنَّ فكرةَ النَّظمِ كانت موجودةً عند من سَـبَقَهُ مِنَ الدارسِـيْن القُدامى أمثال الجاحظ والقاضـي عبد الجبَّار الأسـد آباذي،[3] فهو لم يُنكرْ جُهودَهم، بلْ أشـادَ بفضـلِهِمْ في تَعظِيمِ شـأنِ النَّظْمِ، وقد تَجَسَّـدَ ذلك في قَوْله: " وقد علمت إِطْبَاقَ العُلماء على تعظيمِ شـــأن ((النَّظمِ))، وتفخيم قدره، والتنويهِ بِذِكْرِهِ، وإجماعَهم أنْ لا فَضْلَ مع عَدَمه "[4].

---

(1) لســـان العرب، ابن منظور، تح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصـــادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط3، 1999م، ج14، مادة (نَظَمَ)، ص: 196

(2) أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـــ - 1998م، ج2، مادة (نَظَمَ)، ص: 284

(3) ينظر: الأصـــول الفكرية لنظرية النظم عند " عبد القاهر الجرجاني " دراســـة نظريَّة، جرماني الزهرة، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، جامعة دكتور مولاي الطاهر – ســـعيدة (الجزائر)، مج5، العدد2، 2021م، ص220

(4) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شـــاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م، ص: 80

ويُمكنُنَا أنْ نَســـتعرِضَ فَهمَ عُلمائِنَا القُدامى لِمَفهُومِ النَّظمِ، لكي نُدرِكَ مَدى تَطَوُّر ذلك المفهُوم حتَّى أَصبَحَ نَظَرِيَّةً بلاغِيَّةً تُنسَبُ إلى عبدِ القاهرِ الجُرجَانِيِّ.

- **سيبويه (- 180هـ):**[1]

كانَ سيبويه مِنْ أوائِلِ الدَّارِسِين القُدَامَى اللذين تبدَّت على أيدِيْهِم المَلامِحُ الأوليَّة لمَفْهُومِ النَّظمِ، وذلك حينَ عَقَدَ فَصْـلًا في كِتَابِهِ (الكِتَاب) تحتَ عُنوَان (هذا بابُ الاستِقَامَةِ مِنَ الكَلَامِ والإِحَالةِ) حيثُ عَرَضَ فيه لأَنواعِ الكَلامِ فأشـــارَ إلى أنَّ مِنَ الكلامِ ما هو " مستقيمٌ حسنٌ، ومحالٌ، ومستقيمٌ كذبٌ، ومستقيمٌ قبيحٌ، وما هو مُحالٌ كذِبٌ "[2]، وشَـرَعَ بذِكرِ الأمثلةِ التي توضِّــح ما ذهب إليه فقال: " فأمَّا المســتقيمُ الحَسَــنُ فقولُكَ: أتيتُك أمْسِ وسآتيك غدًا. وأمَّا المُحال فأن تَنقض أوَّلَ كلامك بآخِره فتقولَ: أتيتك غدًا، وسآتيك أمس. وأمَّا المستقيمُ الكذبُ فقولُك: حَمَلتُ الجبلَ، وشربت ماء البحر ونحوه. وأمَّا المستقيمُ القبيحُ فأنْ تضعَ اللَّفظَ في غيرِ مَوضِعِهِ، نحو قولك: قد زيدًا رأيت، وكي زَيدٌ يأتيك، وأشباه هذا. وأمَّا المُحالُ الكذبُ فأنْ تَقُولَ: سوف أشربُ ماءَ البحرِ أمسِ."[3]

---

[1] سيبويه: " هو أبو بشر (أو أبو الحسن) عمرو بن عثمان بن قنبر، وُلِدَ في البيضاء قرب شيراز، وكان مولى بني الحارث بن كعب، فقدِمَ إلى البصـــرة، وهو غلام؛ ولمَّا أكملَ دراســـاتِهِ وأتمَّ كتابَه بالبصـــرةِ وفد على بغداد يَطْلُبُ الشُّهرةَ في دارِ الخِلافَةِ، فناظره الكسائي مؤدِّب الأمين بن الرشيد في مسألة الزنبور، وغلبَه الكسائي، فرجعَ مُغْتَاظًا إلى وطنِهِ، وتوفي فيه عن نيِّف وأربعين سنة، وقِيلَ عن ثلاثٍ وثلاثين سنة، وذلك سنة 177هـــ / 793م، أو سنة 161هـ وقيل سنة 180هـ / 896 م، أو سنة 188هـ، أو سنة 194هـ / 809م. أمَّا كتاب سيبويه فهو أَقْدَمُ مصنَّف جمعَ مســـائِلَ النَّحْوِ العربيِّ كافَّة.": تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت، ج2، ص: 134 - 135، وينظر: طبقات النحويِّين واللغويِّين، أبو بكر محمد بن الحسَن الزُّبَيْديّ الأندلســيّ، تح: محمد أبو الفضــل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة - مصــر، ط2، د.ت، ص: 66، وينظر: وَفَياتُ الأعْيَانِ وأنباءُ أبناءِ الزَّمانِ، أبو العبَّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكَان، تح: إحسـان عبَّاس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مج3، ص: 463 وما بعدها.

[2] الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، القاهرة، ط3، 1988م، ج1، ص: 25

[3] الكتاب، سيبويه، ص: 25 - 26

يَبدُو مِنْ خِلالِ تَقسيْمِ سيبويه لِلْكَلامِ إلى أنواع أنَّ فِكرةَ النَّظمِ كانتْ حَاضِـرةً في بالِهِ لكنَّهُ لمْ يُصرِّحْ بالمفهومِ المُعبِّرِ عَنْها، ففي تَقسيمِهِ الكَلام إلى مُسْتَقِيمٍ حَسَنٍ، ومُحالٍ، ومُستقيمٍ كذِبٍ، ومُسـتَقيْمٍ قَبِيْحٍ، ومُحَالٍ كَذِبٍ، يَظْهَرُ بِشَـكلٍ جَليٍّ إدراكُهُ لأهميَّةِ التلاؤمِ بَيْنَ الألفاظِ ومَعانِيها ضِمْنَ السِّياقِ اللغويِّ وسِياقِ الحالِ، فقدْ جَعَلَ " مدارَ الكلامِ على تأليفِ العِبارَةِ، وما فيها مِنْ حُسْـنٍ أو قُبْحٍ، واسـتقامةٍ أو إحالةٍ. والمعنى وما فيهِ من صِـدْقٍ أو كَذِبٍ. فالكلامُ المُسْـتَقِيْمُ الحَسَـنُ هو الَّذي عُرِّيَ مِنَ التناقُضِ والكَذِبِ، والمُسْـتقيمُ القبيحُ هو الَّذي نَرَى مِنهُ لفظَةً قلقةً ونافرةً، لأنَّها وُضِـعَتْ في غيرِ مَوْضِـعِهَا وإن اتَّصَفَ الكلامُ بالصِّدْقِ وبُرِّئ من التناقُضِ. فوضـعُ الألفاظِ في غيرِ مَوضِـعِهَا دليلٌ عندَ سـيبويه على قُبْحِ النَّظْمِ وفَسَـادِهِ "[1]، وهذا ما اهتمَّ بهِ الدَّارسـون مِنَ المُتكلِّمين في العُصُـوْرِ اللَّاحقةِ متأثِّرين في ذلك بالمنْطِقِ اليونانيِّ، وقد بيَّنوا الفَرْقَ بينَ التصوُّرِ والتصديقِ، فقد ذَكَرَ التهانوي (- بعد 1158هـــ) في كتابه (كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم) المقصودَ بالتصوُّرِ والتصديق بقولِهِ: " التصوُّر هو حصولُ صورة الشَّيءِ في العقْلِ والتَّصديقُ يستدعي تصوُّرًا "[2].

فالتصوُّرُ إدراكٌ للصُّورةِ الذهنيَّةِ أمَّا التصديقُ نسبةُ لفظٍ لآخرَ أي صِنَاعةُ التَّركِيبِ،[3] أمَّا سيبويه فقد اعتمدَ مفهومَ الكلامِ القائمِ على الإسنادِ لتأليفِ الجُملَةِ، وجَعَلَ لها معاييرَ جماليَّةً يُمْكِنُ الحُكمُ مِنْ خِلالِهَا على العِبارَاتِ اللغَويَّةِ بالحُسْـنِ والقُبحِ، ونجدُ غيرَه من الدارِسِـين الَّذين عَاصَروه أو تَلوه في عُصورٍ مُتأخِّرة قد فسَّرُوا الحُسْنَ والقُبْحَ في العِبارَةِ بالتناسُبِ وعَدَمِهِ أو الملاءمةِ بين الكلماتِ (لفظًا ومعنىً) في سياق النَّظْمِ ووضْـعِها في مواضِـعِها، أو التنافُرِ بينها والإخلالِ بهذا المَفْهُومِ، وهو ما يُمكِنُ تَسْميتُهُ بـ (نَظرِيَّة المَواضِع)، حيثُ

(1) أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسـين، دار غريب للطباعة والنشـر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1998م، ص: 111

(2) كشـاف اصـطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تر: عبد الله الخالدي وجورج زيناتي، تح: علي دحروج ورفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ط1، 1996م، ج1، ص: 456

3 ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ج1، ص: 456

تَعتمِدُ هذه النظريَّةُ على إطلاقِ الأحكامِ الجماليَّةِ على العِبارَةِ اللغويَّةِ من خِلالِ قضـــيَّةِ التناسُبِ وحُسْنِ التَّرتِيبِ والمُلاءَمَةِ.[1]

وكما ذكرنا فقد جَمَعَ سِيبويه في كلامِهِ بينَ الإسنادِ والدلالَةِ أي بينَ العَملِ اللغويِّ ودَلَالَةِ العِبَارةِ.[(2)]

- **الجاحظ (- 255هـ):[(3)]**

يتَّضــحُ مفهومُ النَّظْمِ عندَ الجاحِظِ مِنْ خِلالِ كِتابِهِ (نَظْمُ القُرآنِ) إلَّا أنَّهُ لَمْ يَصِــلْ إلينا[(4)]، حيثُ يَبدُو مِنْ عُنْوانِ هذا الكِتابِ اهْتمَامُه بقضــيَّةِ النَّظْمِ، وقد أشــارَ إليه في أكثر مِنْ مَوضِــعٍ مِنْ كُتُبِهِ، فعَلى ســبيلِ المِثَالِ نَجِدُهُ في كِتابِهِ (البيان والتَّبْيين) يُشــيرُ إليه مُبَيِّنًا مَضْــمُونَه، وذلك في قوله: " كما عِبتَ كتابي في الاحتجاج لِنَظْمِ القُرآنِ وغَريبِ تأليفِهِ وبديعِ تركِيبِهِ."[(5)]

---

[1] ينظر: في جماليات الكلام، سمير أحمد معلوف، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، 2018م، مج (92)، ج (3-4)، ص: 373 - 374

[(2)] المقصــود بدلالة العبارة أي الدلالة اللفظيَّة، وهي الدلالة التي تتحقَّق عندما ينتقل ذهن المتلقِّي عند تلقِّي العبارة من اللفظ إلى المعنى: يُنظر: كشَّــاف اصــطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ج1، ص: 791، وللتوسُّــع يُنظر: معيار العلم في المنطق، أبو حامد الغزالي، تح: أحمد شــمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1990م، ص: 72

[(3)] هو " عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشــهير بالجاحظ: كبير أئمَّة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظيَّة من المعتزلة. مولده ووفاته في البصــرة. فُلِجَ في آخر عمره. وكان مشــوَّه الخلقة. ومات والكتاب على صــدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصــانيف كثيرة، منها ((الحيوان – ط)) أربعة مجلدات، و ((البيان والتبيين – ط)) ": الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط15، 2002م، ج5، ص: 74، وينظر: وَفَياتُ الأَعْيَانِ، ابن خَلِّكَان، مج3، ص: 470 وما بعدها.

[(4)] ينظر: نظريَّةُ النَّظْمِ تاريخ وتطوُّر، حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، د.ط، 1979م، ص: 10

[(5)] الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1385هـ - 1965م، ج1، ص: 9

إلّا أنَّ ذلك لا ينفي اهتمامَ الجاحظِ بالنّظمِ في كتابَيْهِ (الحَيَوَان) و(البَيَان والتّبْيين)، وقد تجلّى ذلِك " في إرجاعِهِ الإعجازَ القرآنيَّ لأسرارِ النَّظْمِ المُباينِ لأسَاليب العَرَبِ "[1] حينَ قال: " ولا بدَّ مِنْ أنْ نَذْكُرُ فيه أقسامَ تأليفِ جميعِ الكَلامِ، وكيف خَالَفَ القُرآنُ جميعَ الكلام الموزونِ والمنثورِ، وهو منثورٌ غير مُقفًّى على مخارج الأشعار والأسجاع، وكيف صارَ نظمُه من أعظم البُرهان، وتأليفُه من أكبرِ الحُجج."[2]

ويتَّضحُ مفهومُ النَّظْمِ عندَه بِشَكلٍ جَليٍّ في قَولِه: " وأجودُ الشِّعر ما رأيتَه متلاحمَ الأجزاءِ، سهلَ المخارجِ، فتعلمُ بذلك أنَّه قد أُفرِغَ إفراغًا واحدًا، وسُبِكَ سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان."[3]

ويرى الجاحظ أنَّ البلاغة تكمن في نظمِ الألفاظ وحسن ائتلافها فيما بينها لا في المعاني،[4] وهذا ما أشارَ إليه بقوله: " المعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقَروي، [والمدنيُّ]. وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، [وكثرة الماء]، وفي صحَّة الطَّبع وجَودَة السَّبك، فإنَّما الشعر صناعةٌ، وضَرْبٌ من النَّسجِ، وجنسٌ من التَّصوير."[5]

- **ابن قتيبة (- 276هـ):**[6]

---

(1) نظريَّة النظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث، عبد الله نايف عنبر، (رسالة دكتوراه)، الجامعة الأردنية، 1991م، ص: 27

(2) البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، القاهرة، ط7، 1418هـ - 1998م، ج1، ص: 383

(3) البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص: 67

(4) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط3، 1993م، ج1، ص: 144

(5) الحيوان، الجاحظ، ج3، ص: 131 - 132

(6) هو " عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد: من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثمَّ ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد. من كتبه ((تأويل مختلف الحديث – ط)) و ((أدب

بدت ملامح النَّظم عنده حين عقد بابًا في كتابه (تأويل مشكل القرآن) أسماه: " باب تأويل الحروف التي ادّعي على القرآن بهَا الاستِحالة وفساد النَّظم "[1]، حيث ركَّز في هذا الباب على العلاقات النحويَّة بين الألفاظ في سياق التعبير.[2]

- **المبرِّد (- 285هـ):[3]**

النَّظمُ عند المبرِّد أساس البلاغة، وحسن النَّظمِ بالنسبةِ له يعني التلاؤم بين الكلمات المتجاورة في السِّياق اللغوي الذي يجمع بينها، حيثُ ذَكَرَ: " أنَّ حقَّ البلاغةِ إحاطةُ القَولِ بالمعنى، واختيارُ الكلامِ، وحُسْنُ النَّظْمِ؛ حتَّى تكون الكلمةُ مقاربةً أُخْتَها، ومُعاضِدَةً شَكْلَها، وأنْ يقرَّب بها البعيد، ويُحذف منها الفضول."[4]

- **السِّيرافي النحوي (- 368هـ):[5]**

الكاتب – ط)) و ((المعارف – ط)) ": الأعلام، خير الدين الزِرِكْلي، ج4، ص: 137، وينظر: تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، تح: بشار عوَّاد معروف، دارالغرب الإسلامي، ط1، 2001م، مج11، ص: 411

(1) تأويل مشكل القرآن الكريم، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح: السَّيِّد أحمَد صَقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973م، ص: 299

(2) ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص375 - 376

(3) هو " إمامُ النَّحْو، أبو العبَّاس، محمد بن يَزيد بن عبد الأَكْبر الأَزْدي، البصري، النَّحْوي، الأَخباري، صاحب ((الكامل)). أخذ عن: أبي عُثمان المازِني، وأبي حَاتم السِّجسْتَاني (...) وكان إمامًا، عَلَّامةً، جميلًا، وَسِيمًا، فَصيحًا، مُفوَّهًا، مُوَثَّقًا، صاحب نوادرٍ وطُرَفٍ (...) له تصانيف كثيرة، يُقال: إنَّ المازني أعجبه جَوابُه، فقال له: قُمْ فأنت المُبرِّد، أي: المُثْبِت للحق، ثمَّ غلب عليه: بفتح الرَّاء. وكان آية في النَّحْو. كان إسماعيل القاضي يقول: ما رأى المُبرِّد مثلَ نفسه. مات المبرّد في أوَّل سنة ستٍّ وثمانين ومئتين ": سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط وعلي أبو زيد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط9، 1993م، ج13، ص: 576 - 577

(4) البلاغة، أبو العبَّاس محمد بن يزيد المبرّد، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينيَّة، القاهرة، ط2، 1985م، ص: 81

(5) هو " الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد: نحوي، عالم بالأدب. أصله من سيراف (من بلاد فارس) تفقه في عمان، وسكن بغداد، فتولى نيابة القضاء، وتوفي فيها. وكان معتزليا، متعففًا، لا يأكل إلَّا من كسب

يتّضــح فهمه للنّظمِ من خلالِ المُحاورة التي جَرت بينه وبين أبي بِشــر متّى بن يونس (- 328هـــ) حولَ النَّحْوِ والمَنْطِقِ، ومكانةِ البلاغةِ بينهما، فبيَّن أنَّ المقصودَ بعلمِ النَّحْوِ ليس معرفة حركاتِ الإعرابِ فقط، وإنَّما هو معرفةُ موضـــعِ الكلماتِ وترتيبِها، والمقصـود بالمعاني هو معاني النَّحْوِ مِنْ حيثُ التقديم والتأخير وتوخِّي الصَّـوابِ،[1] قال الســيرافي فيما أورده أبو حيَّان التوحيدي عنه في محاورته لابي بشــر متَّى بن يونس: " معاني النَّحْوِ مُنْقسِـمَةٌ بينَ حركاتِ اللفظِ وسَـكَناتِهِ، وبين وضْـعِ الحُرُوْفِ في مواضِـعِهَا المقتضـــيةِ لَهَا، وبين تأليفِ الكَلَامِ بالتَّقديمِ والتَّأخيرِ وتوخِّي الصَّـــوابِ في ذلك وتجنُّبِ الخطأِ مِنْ ذلك، وإن زاغَ شيءٌ عن هذا النَّعتِ فإنَّه لا يَخلو مِنْ أنْ يَكونَ سائِغًا بالاستعمالِ النَّادرِ والتأويلِ البعيدِ، أو مَردُودًا لخُرُوْجِهِ عَنْ عَادةِ القَوْمِ الجاريةِ على فِطْرَتِهِم."[2]

- **الرُّمَّاني (- 384هـ):**[3]

يده، ينســخ الكتب بالأجرة ويعيش منها. له ((الإقناع)) في النحو، أكمله بعده ابنه يوســف، و ((أخبار النحويين البصريين – ط)) و ((صنعة الشعر)) و ((البلاغة)) و ((شرح المقصورة الدريدية)) و ((شرح كتاب سيبويه – خ)) في دار الكتب ": الأعلام، خير الدين الزركلي، ج2، ص: 195 - 196، وينظر: وفيات الأعيان، مج2، ص: 78، وينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط3، 1985م، ص: 227 - 228

[1] يُنظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 376

[2] الإمتاع والمؤانســة، أبو حيَّان التوحيدي، المكتبة العصــرية، تح: هيثم خليفة الطعيمي، صــيدا – بيروت - لبنان، د.ط، 2011م، ص: 96 - 97

[3] هو " علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. أصله من ســامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصــنف، منها ((الأكوان)) و ((المعلوم والمجهول)) و ((الأســماء والصفات)) و ((صنعة الاستدلال)) في الاعتزال، سبعة مجلدات، وكتاب ((التفسير)) و ((شرح أصول ابن السراج)) و ((شرح سيبويه)) و ((معاني الحروف – خ)) رسالة صغيرة، لعلها المسماة ((منازل الحروف – ط)) و ((النكت في إعجاز القرآن – ط)) رسالة ": الأعلام، خير الدين الزركلي، ج4، ص: 317، وينظر: تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، مج13، ص: 462، وينظر: وفيات الأعيان، ابن خَلِّكان، مج3، ص: 299

ورد مفهومُ النَّظْمِ عنده بمعنى (التلاؤُم)، والمقصـــودُ به عندَه " تعديلُ الحروفِ في التأليفِ "[1] وعلَّل السبب في التَّلاؤم على أنَّه " تعديل الحروف في التأليفِ فكلَّما كان أعدلَ كانَ أشدَّ تلاؤمًا وأمَّا التَّنافُر فالسَّببُ فيه ما ذكرَهُ الخليلُ مِن البُعدِ الشَّديدِ أو القُربِ الشَّديدِ (...) والفائدة في التلاؤم حُسنُ الكلامِ في السَّمعِ وسهولتُه في اللفظِ ويقبل المعنى له في النفس لما يرِدُ عليها من أحسنِ الصُّورة وطريقِ الدلالة "[2].

- **الباقِلَّاني (- 403هـ):[3]**

وردَ مفهومُ النَّظمِ عندَه رَديفًا لمعنى التَّأليفِ حينَ تَحدَّث في كتابِهِ (إعجاز القرآن) عن وُجوه الإعجازِ في القرآن الكريم، فخصَّـــصَ الوجْهَ الثَّالث للنَّظمِ والتَّأليفِ والرَّصْـــفِ، قال: " فأمَّا الكلامُ في الوجهِ الثَّالثِ، وهو الَّذي بينَّاه من الإعجازِ الواقعِ في النَّظْمِ والتأليفِ والرَّصْـفِ، فقد ذَكَرْنا من هذا الوجهِ وُجوهًا: منها: أنَّا قُلنا: إنَّه نظمٌ خارجٌ عن جميعِ وجوهِ النَّظْمِ المُعتادِ في كلامِهِم، ومباينٌ لأساليب خطابِهِم."[4]

كانت هذه أهمَّ ملامح مفهوم النَّظم التي تكوَّنت في فِكْرِ الدَّارســين في تُراثِنَا النَّقدِيِّ والبلاغِيِّ، ويمكِنُنَا أنْ نَعُدَّها الإرهاصـاتِ الأساسـيَّةَ التي استَقى منها عبدُ القاهرِ الجُرجاني (- 471هـ) نظريَّته في إثباتِ إعجازِ القرآن الكريم، فَضلًا عن إفادتِهِ مِنْ كَلامِ القاضـي عبد الجبَّار (- 415هـــ) حولَ مفهومِ الضمِّ (النَّظْم) ومعنى الفَصاحة في كتابِهِ

---

(1) النكت في إعجاز القرآن، أبو الحســن علي بن عيســى الرُّمَّاني، تح: عبد العليم، مكتبة الجامعة الملِيَّة الإســلامية، دهلي، د.ط، 1934م، ص: 18

(2) النكت في إعجاز القرآن، الرمَّاني، ص: 18

(3) هو " محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاضٍ، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياســه في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. وجَّهه عضد الدولة سفيرًا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القســطنطينية مناظرات مع علماء النصــرانية بين يدي ملكها. من كتبه ((إعجاز القرآن – ط)) و ((الإنصـــاف - ط)) ": الأعلام، خير الدين الزركلي، ج6، ص: 176، وينظر: الوافي بالوفَيَات، صـلاح الدين خليل بن أيبك الصـفدي، تح: أحمد الأرنأووط وتركي مصـطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 2000م، ج3، ص: 147

(4) إعجاز القرآن، الباقلاني، تح: أحمد صقر، دار المعارف بمصر، د.ط، د.ت، ص: 75

(المُغْني)، وقد أفردنا له حديثًا مُسْتَقِلًا عَنْ غَيْرِهِ من الدَّارسين القُدامى الَّذين ورد ذِكرهم سابقًا، نظرًا للأثر البالغ الذي تركه في نظريَّة النظم عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز).

- **القاضي عبد الجبَّار (- 415هـ):[1]**

عدَّ القاضي عبد الجبَّار النَّظم أساس الفصاحة، لكنَّه لم يذكره بمفهومه الذي هو عليه، بل عبَّر عنه بمصطلح (الضمِّ)، وهو يعني عنده ضم الكلمات بعضها إلى بعض بطريقةٍ مخصوصة، حيث قال: " اعلم أنَّ الفصاحةَ لا تَظْهرُ في إفرادِ الكلامِ؛ وإنَّما تظهرُ في الكلامِ بالضمِّ، على طريقةٍ مخصوصة "[2].

فعبد الجبار لا يُلقي بالًا للكلمات المُفردة، لأنَّ مزيَّة الفصاحة لا تكمُنُ فيها، بل في انتظامِها ومُجاورتِها لباقي الكلماتِ في السِّياق اللغوي التَّعبيريِّ الَّذي ينظمها في سلكٍ واحدٍ، فتأتلِفُ الكلماتُ فيما بينها، وجَعَلَ مِنْ هذا النَّظْمِ أو الضمِّ كما سَمَّاه المجالَ " الذي تتفاوت فيه القدرات الفنيَّة، وتتحدَّد به مرتبة الإبداع "[3]، وبذلك يكتسبُ الكلامُ صفةَ الفصاحةِ، قال: " وهذا يبيِّن أنَّ المُعْتَبَرَ في المزية ليس بُنْيَة اللفظ، وأنَّ المُعْتَبَرَ فيه ما

(1) هو " عبد الجبَّار بن أحمد بن عبد الجبَّار الهمذاني الأسدابادي، أبو الحسين: قاضٍ، أصولي. كان شيخ المعتزلة في عصره. وهم يلقِّبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره. ولي القضاء بالريِّ، ومات فيها. له تصانيف كثيرة، منها: ((تنزيه القرآن عن المطاعن – ط)) و ((الأمالي)) و ((المجموع في المحيط بالتكليف – ط)) الأول منه، و ((شرح الأصول الخمسة – ط)) و ((المغني في أبواب التوحيد والعدل – ط)) أحد عشر جزءًا ": الأعلام، خير الدين الزركلي، ج3، ص: 273، وينظر: تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، مج12، ص: 414

(2) المغني في أبواب التوحيد والعدل (إعجاز القرآن)، القاضي أبو الحسن عبد الجبَّار الأسدابادي، تح: أمين الخولي، د.ط، د.ت، ج16، ص: 199

(3) نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، مسعود بودوخة، مركز الكتاب الأكاديمي، عمَّان – الأردن، ط1، 2018م، ص: 28 - 27

ذكرناه، من الوُجُوه؛ فأمَّا حُسْنُ النَّغمِ، وعُذوبةُ القَوْلِ فممَّا يزيدُ الكلامَ حُسْنًا، على السَّمْعِ، لا أنَّه يوجِدُ فضلًا في الفصاحةِ "[1].

وقد بيَّن عبد الجبَّار أنَّ الضـــمَّ بين الكلمات لا يكون عشـــوائيًّا، بل وفق طريقةٍ مخصـوصـةٍ، فهو لا يكتفي بالتئامِ الكلماتِ بعضـها إلى بعض لتحقيقِ مزية الفصـاحة، بل راعى في ذلك الإبدالَ والموقعَ والحركةَ الإعرابيَّةَ، فجعلَ النَّحْوَ رُكنًا من أركانِ النَّظْمِ[2]، فتابع قائلًا: " ولا بُدَّ مع الضمِّ من أن يكون لكلِّ كلمةٍ صفة، وقد يجوزُ في هذه الصِّفةِ أنْ تكونَ بالمواضـــعةِ التي تناولُ الضَّـــمَّ، وقد تكونُ بالإعرابِ الَّذي له مدخلٌ فيه، وقد تكونُ بالموقعِ؛ وليس لهذه الأقســـامِ الثلاثةِ رابعٌ، لأنَّه إمَّا أنْ تُعْتَبَرَ فيه الكلمةُ، أو حركاتُها، أو موقعُها؛ ولا بدَّ مِنْ هذا الاعتبارِ في كلِّ كلمةٍ؛ ثمَّ لا بدَّ من اعتبارِ مثلِهِ في الكلماتِ، إذا انضـمَّ بعضُـهَا إلى بعض؛ لأنَّه قد يكونُ لها عند الانضـمامِ صـفةٌ؛ وكذلك لكيفيَّةِ إعرابِهَا، وحركاتِهَا، وموقعِهَا؛ فعلى هذا الوجْهِ الَّذي ذَكَرْناه إنَّما تظهرُ مزيةُ الفصـاحةِ بهذه الوجوهِ دون ما عداها."[3]

من الملاحظ أنَّ عبد الجبَّار اسـتطاع أن يفرِّق بين الكلمة في المواضـعة والكلمة في الاستعمال حين تُستخدم في سياق التعبير، وهي في كلتا الحالتين لا بدَّ فيها من مراعاة ثلاثة معايير في أثناء نظمها في سياق التعبير، حتى يكتسب الكلام صفة الفصاحة، وهي: الإبدال، والموقع، والإعراب[4]، قال: " فالذي به تظهرُ المزية ليس إلَّا الإبدال

(1) المغني، القاضي عبد الجبَّار، ج16، ص: 200

(2) يُنظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 378

(3) المغني، القاضي عبد الجبار، ج16، ص: 199

(4) يُقصد بالإبدال صحَّة اختيار الكلمة للسياق الذي توضع فيه حين مجاورتها لباقي الكلمات، أمَّا الموقع فيقصـــد به مراعاة موقع الكلمة داخل التركيب، فقد تحتاج إلى تقديم أو تأخير بالنســـبة لباقي الكلمات في الســـياق، حتَّى تكون متناســـبة معها وغير قلقة في المكان الذي وُضِـــعت فيه، أمَّا الإعراب: فبعد اختيار الكلمة المناسبة للسياق، ووضعها في موقعها المناسب لها يُنظر لها حين تتناوب عليها الحركات الإعرابيَّة (الفاعليَّة والمفعوليَّة والتمييز...) فيتغيَّر محلُّها الإعرابي تبعًا لعمليَّات التقديم والتأخير التي تطرأ على موضـــعها في ســـياق التعبير: يُنظر: النظم بين القاضـــي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني (دراســـة مقارنة)، ســـلايم جوهرة وعامر صـــارة، رســـالة ماجســـتير، جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية، 2018 / 2019م، ص: 24 - 25

[الاختيار] الذي به تختصُّ الكلمات، أو التقدُّم والتأخُّر، الَّذي يختصُّ الموقع، أو الحركات التي تختصُّ الإعراب، فبذلك تقعُ المباينةُ، ولابدَّ في الكلامين اللذين أحدهما أفصح مِنَ الآخرِ أنْ يكونَ إنَّما زادَ عليه بكلِّ ذلك، أو ببعضِهِ، ولا يمتنع في اللفظةِ الواحدةِ أنْ تكونَ إذا استُعْمِلَتْ في معنى، تكون أفصحَ منها إذا استُعْمِلَتْ في غيرِهِ؛ وكذلك فيها، إذا تغيَّرت حركاتُها."[1]

فعبد الجبَّار أدرك أنَّ لكلِّ كلمةٍ داخل العبارة حركة إعرابية وموقعًا معيَّنًا خاصًّا بها، وبمجرَّد تغيُّر ذلك الموقع تتغيَّرُ الحركةُ الإعرابيَّةُ تباعًا، وهذا يؤدِّي إلى تغيُّرِ المعنى بشكلٍّ كلِّيٍّ، وقد تؤدِّي معنى مغايرًا لمعناها السَّابق وقد يكونُ معناها الثاني أفصحَ مِنَ المعنى الأوَّل.[2]

نستنتج من الكلام الآنف الذكر أنَّ الفصاحة عند عبد الجبَّار " تكمنُ في النَّظْمِ الَّذي سمَّاه الضم على طريقةٍ مخصوصةٍ متميِّزة ويكونُ ذلك بمخالفةِ التَّعبيرِ الشَّائِعِ العادي إلى تعبيرٍ جميلٍ يتميَّزُ بالفصاحةِ والبلاغةِ، وبعبارةٍ أخرى طريقة أداءِ التَّعبيرِ التي تنبني أساسًا على اختيارِ مواقع الألفاظِ ومراعاة ترتيبِها داخلَ التَّركيبِ النَّحْويِّ، مع مراعاة العلاقاتِ النَّحْويَّةِ التي تربطُ هذه الكلمات ببعضِهَا داخِلَ النَّسَقِ أو التَّركيبِ النَّحْويِّ."[3]

- **عبْد القَاهِر الجُرْجَانِيِّ (- 471هـ):**[4]

---

(1) المغني، القاضي عبد الجبار، ج16، ص: 200

(2) يُنظر: النظم بين القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني، سلايم جوهرة وعامر صارة، ص: 19

(3) النظم بين القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني، سلايم جوهرة وعامر صارة، ص: 23

(4) هو " عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة. من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق. من كتبه ((أسرار البلاغة – ط)) و ((دلائل الإعجاز – ط)) و ((الجمل – خ)) في النحو، و ((التتمة – خ)) نحو، و ((المغني)) في شرح الإيضاح، ثلاثون جزءًا، اختصره في شرح آخر سمَّاه ((المقتصد – خ)) في الظاهرية، و ((إعجاز القرآن – ط)) و ((العمدة)) في تصريف الأفعال، و ((العوامل المئة – ط)) ": الأعلام، خير الدين الزركلي، ج4، ص: 48 – 49، وينظر: فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن

مفهوم النَّظم عند الجرجاني هو توخِّي معاني النَّحو فيما بين الكلم، فالنَّظمُ ومعاني النَّحوِ عنده وجهان لعملةٍ واحدة، قال: " فلستَ بواجدٍ شيئًا يرجعُ صوابُه إنْ كانَ صوابًا، وخَطَؤُه إن كان خطأ، إلى ((النَّظم))، ويدخلُ تحت هذا الاسم، إلَّا وهو معنى من معاني النَّحْوِ قد أُصيبَ به موضعه، ووُضِعَ في حقِّه = أو عومِلَ بخلاف هذه المعاملة، فأُزيلَ عن موضعه، واستُعْمِلَ في غيرِ ما ينبغي له، فلا ترى كلامًا قد وُصِفَ بصحَّةِ نَظْمٍ أو فساده، أو وُصِفَ بمزيَّةٍ وفضلٍ فيه، إلَّا وأنت تجد مرجعَ تلك الصحَّة وذلك الفساد وتلك المزيَّة وذلك الفضل، إلى معاني النَّحْوِ وأحكامه، ووجدته يدخلُ في أصلٍ من أصوله، ويتَّصِل ببابٍ مِنْ أبوابه."[1]

ونجد الجرجاني يجعل حُسْنَ النَّظم معيارًا للفصاحة[2]، وذلك في حديثه عن أقسام الكلام الفصيح، حيث قسَّمه إلى قسمين، فجعل القسم الأوَّل منه عائدًا إلى اللفظ، أمَّا القسم الثاني منه فقد أعاده إلى النظم، وقد تجلَّى ذلك في قوله: " اعلم أنَّ الكلام الفصيحَ ينقسمُ قسمين: قسمٌ / تُعْزَى المزيَّة والحسنُ فيه إلى اللفظ = وقسمٌ يُعْزَى ذلك فيه إلى النَّظم. فالقسم الأول: ((الكناية)) و ((الاستعارة)) و ((التمثيل الكائنُ على حَدِّ الاستعارة))، وكلُّ ما كانَ فيه، على الجملة، مجازٌ واتِّساعٌ وعُدُولٌ باللفظ عن الظاهر "[3].

وهكذا نجد الجرجاني ينفي صفة الفصاحة عن الكلمة المفردة لأنَّه يعدُّ الفصاحة صفةً للتركيبِ الَّذي تنتظمُ فيه الكلماتُ وفقَ سياقٍ لغويٍّ تعبيريٍّ معيَّن، ويُمكنُنا القول: إنَّ الجرجاني لمْ يَخرجْ عمَّا قرَّره سيبويه مِنْ وضَعِ الكلامِ في مواضِعِهِ وتقسيمه الكلام إلى حَسَنٍ وقَبيحٍ ومُستقيمٍ، ويعني ذلك وضْعُ الكلامِ كما يقتضيهِ النَّحْوُ وفقَ الدلالاتِ المتناسبةِ،

شاكر الكتبي، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ط، 1974م، مج2، ص: 369 وما بعدها، وينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط1، 1986م، ج2، ص: 188 وما بعدها.

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 82 - 83

[2] ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 429 - 430

[3] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 429 - 430

وهذا التناسبُ يقعُ في الألفاظِ بتناسبِ حُرُوْفِها وفي النَّظْمِ بتناسُبِ أصواتِ الكلماتِ وتناسبِ دلالاتِ الألفاظِ.

على أنَّ الجرجاني لمْ يقصدْ باللفظ الأصواتَ والأحرفَ التي تتألفُ منها الكلمةُ، بل أرادَ مِنَ اللفظِ صورةَ المعنى المُعبَّر عنه، فالكنايةُ قد لا تكونُ مكوَّنةً مِنْ كلمةٍ واحدةٍ وبالرغمِ من ذلك أطلقَ عليها اسم اللفظ، وكذلك الاستعارةُ والتمثيلُ، فذَكَرَ أنَّ العلماءَ " لم يُوجبوا لِلَّفظ ما أوجَبُوه من الفضيلة، وهم يعنُون نُطْقَ اللِّسان وأجْراس الحروف، ولكن جَعَلُوا كالمُواضَعة فيما بينهم أن يقولوا ((اللفظ))، وهم يريدون الصُّورَة التي تَحْدُث في المعنى، والخاصَّةَ التي حَدَثت فيه "[1]، وهذا يدل على أنَّهم أرادوا من تعبيرهم باللفظ صورة وخصوصيَّة تحدث بالمعنى، وطريق إدراكه العقل دون السمع.[2]

وفصاحة الكلمة عند الجرجاني لا تظهر إلَّا من خلال حسن انتظامها في السياق وملاءمة معناها لمعنى باقي الكلمات، حيث قال: " وهل تجدُ أحدًا يقول: ((هذه اللفظة فصيحةٌ))، إلَّا وهو يعتبر مكانها من النَّظْمِ، وحُسْنَ [ملائمةِ][3] معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: ((لفظة متمكِّنة، ومقبولة))، وفي خِلافه: قَلِقَةٌ، ونابيةٌ، ومُسْتَكْرَهة))، إلَّا وغَرضهم أنْ يُعبِّروا بالتمكُّنِ عن حُسْنِ الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهُما، وبالقَلَق والنُّبُوِّ عن سوء التلاؤُم، وأنَّ الأُولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها، وأنَّ السابقةَ لم تصلح أنْ تكونَ لِفْقًا للتالية في مؤدَّاها؟ "[(4)].

ولم يقصد الجرجاني بالنَّظم ترتيب الكلمات من غير مراعاة التناسب بين معانيها ضمن السِّياق اللغوي التعبيري، فالكلمة المفردةً لا معنى محددً لها، ولا قيمة لها إلَّا عندما

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 482

[2] ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 486

[3] كذا وردت في الأصل.

[(4)] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 44 - 45

تنتظم في ســـياقٍ لغويٍّ معيَّن، فالنَّظمُ " هو تَوَخِّي مَعانِي النَّحْوِ في معاني الَكِلِم، وأنَّ توخِّيَهَا في مُتُون الألفاظِ مُحالٌ."[1]

فالنَّظم عند الجرجاني ليس المقصـــود به نظم الحروف، فهذا النوع من النَّظم لا يُعتدُّ به، ولا يتَّصف بالفصاحة " فلو أنَّ واضع اللغة كان قد قال ((رَبضَ)) مكانَ ((ضرب))، لما كان في ذلك ما يؤدِّي إلى فساد. وأمَّا ((نَظْمُ الكَلِم)) فليس الأمر فيه كذلك، لأنَّك تقتفي في نَظْمها آثارَ المعاني، وتُرَتِّبُها على حسب ترَتُّبِ المعاني في النفس. فهو إذن نظْمٌ يُعتبر فيه حال المَنْظُوم بعضـه مع بعض، وليس هو ((النَّظم)) الذي معناه ضَمُّ الشـيء إلى الشـيء كيف جَاء واتَّفق."[2]

ثانيًا: أوجه الاتفاق والاختلاف بين القاضي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني:

إنَّ المتتبِّع لما جاءَ به عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) يُدرك يقينًا أنَّه جعل جلَّ اهتمامه أن ينقض كلام القاضي عبد الجبَّار لا سيَّما في معنى الفصاحة، وهذا ما أشـارَ إليه محقِّق الكتاب (محود محمد شـاكر) حين ذَكَرَ " أنَّ عبد القاهر منذ بدأ في شقِّ طريقه إلى هذا العلم الجديد الذي أسَّسه، كان كُلُّ همِّه أنْ ينقُضَ كلام القاضي في ((الفصـاحة))، وأنْ يكشـفَ عن فسـاد أقوالِه في مسـألة ((اللفظ))، بالمعنى المؤقَّتِ المحدَّدِ في كلامِـه في كتـابـه ((المغني))، دون المعنى المُطْلَقِ للَّفظِ من حيـثُ هو لفظٌ ونُطْقُ لسانٍ."[3]

أولًا: أوجه الاتفاق:

1- مفهوم النظم:

يتَّفق القاضـي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني في تحديد المقصـود من مفهوم النظم مع الاختلاف في تسمية المصـطلح، فعبد الجبَّار عبَّر عنه بمصـطلح (الضـم) حين

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 361

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 49

(3) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، المقدمة، ص: هـ

ذَكَرَ " أنَّ الفصاحةَ لا تظهر في أفراد الكلام؛ وإنّما تظهر في الكلام بالضم، على طريقة مخصوصة، ولا بدَّ مع الضم من أنْ يكونَ لكلِّ كلمةٍ صفة؛ وقد يجوز في هذه الصفة أنْ تكونَ بالمواضعةِ التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع "[1].

في حين ذَكَرَ عبد القاهر الجرجاني مصطلح النظم صراحةً، فعرَّفه بقوله: " اعلم أن ليس ((النَّظْمُ)) إلَّا أَنْ تضعَ كلامك الوضع الذي يقتضيه ((علم النحو))، وتعملَ على قوانينه وأُصوله، وتعرف مَناهجه التي نُهِجَتْ فلا تزيغ عنها، وتحفَظَ الرسومَ التي رُسِمت لك، فلا تُخِلُّ بشيءٍ منها."[2]

وقال في موضعٍ آخر: " واعلم أنَّك إذا رجعتَ إلى نفسك علمتَ علمًا لا يعترضه الشك، أنْ لا نَظْمَ في الكَلِمِ ولا ترتيبَ، حتى يُعلَّق بعضها ببعض، ويُبْنَى بعضها على بعض، وتُجْعَل هذه بسَببٍ من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس."[3]

وكلاهما أدرك أهميَّة النظم والتأليف بين الكلمات في السياق، فمصطلح الضم عند عبد الجبَّار هو مصطلح النظم عند الجرجاني القائم على التعالق النحوي بين الكلمات، والذي يجب أن يُراعى فيه صورة تركيب الكلام وفق عدَّة أمور:

1- الإبدال: أي اختيار الكلمات المناسبة في المكان الذي وُضِعت فيه للتعبير عن الغرض المقصود.
2- الموقع: أي وضع الكلمة ضمن موقعها المناسب وحسن ائتلافها مع ما قبلها وما بعدها من الكلمات في سياق التعبير وذلك بالنظر إلى العلاقات النحويَّة التي تربط بينها.
3- مراعاة الحركة الإعرابيَّة لكلِّ كلمة ضمن السياق.[4]

---

[1] المغني، القاضي عبد الجبَّار، ج16، ص: 199

[2] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 81

[3] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 55

[4] ينظر: النظم بين القاضي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني، سلايم جوهرة وعامر صارة، ص: 56

2- توظيف معاني النحو في النظم:

يتَّفق كلٌّ من القاضـي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني في إدراك أهميَّة معاني النحو في نظم الكلام، لكن عبد الجبار اكتفى بالتلميح إلى ذلك، حين ذَكَرَ أنَّ مزية الكلام الفصـيح تظهر بالضـم (النظم) من خلال مراعاة الإبدال والموقع والحركة الإعرابيَّة بين الكلمات في سـياق التعبير، وذلك في قوله: " فالذي به تظهر المزية ليس إلَّا الإبدال الذي بـه تختص الكلمـات، أو التقدم والتـأخر، الـذي يختص الموقع، أو الحركـات التي تختص الإعراب، فبذلك تقع المباينة "[1].

فهذه الأمور كلُّها تخضـــع لمعاني النحو، إذ ينبغي لناظم الكلام أن يتوخَّى في صـــوره الكلاميَّة اختيار الكلمات المناسـبة للسـياق الموضـوعة فيه، مع مراعاة الموقع والحركة الإعرابيَّة المناسبة، وهي أمورٌ تشكِّل أساس نظريَّة النظم عند عبد القاهر الجرجاني، وقد أشـار الجرجاني إلى إدراك عبد الجبَّار لأهميَّة معاني النحو في النظم، لكنَّه لم يذكر اسمه صـــراحةً بل اكتفى بالإشـــارة إليه بقوله (قولهم)، حيث قال: " وقولهم: ((على طَرِيقةٍ مخصوصةٍ))، (...) إذا أنتَ تأمَّلته تراهم في الجميعِ قد دُفِعوا إلى جَعْل المزية في معاني النحو وأحكامِه من حَيْث لم يَشْعُروا، ذلك لأنَّه أمرٌ ضروريٌّ لا يمكن الخروج منه."[2]

على حين نجدُ عبد القاهر الجرجاني يصـــرِّحُ بأهميَّة توخِّي معاني النحو وأحكامه بين الكلمات، والعلاقات السـياقيَّة التي تربط بينها، لأنَّها ميزان الصـحَّة والفسـاد وموضـع الحسـن والقبح في الصُّـورة الكلاميَّة، وقد تجلَّى ذلك في قوله: " لا شـكَّ ولا مِرْية في أنْ ليس ((النظم)) شيئًا غير توخِّي معاني النحو وأحكامِه فيما بين معاني الكَلِم."[3]

وهكذا يمكننا القول: إنَّ الاعتبارات الثلاثة (الإبدال والموقع والحركة الإعرابية) التي جعلها عبد الجبَّار مزيةً في ضـمِّ الكلام على طريقةٍ مخصـوصـة هي ذاتها معاني

---

(1) المغني، القاضي عبد الجبار، ج16، ص: 200

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 394 - 395

(3) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 526

النحو التي دعا الجرجاني إلى توخِّيها وتوظيفها في التركيب بالشكل الصحيح والحسن،[1] فالإبدال يعني الاختيار والموقع يعني وضع الكلام في مواضعه والحركة الإعرابيَّة تعني استقامة الصيغة، ولذلك فإنَّ الجرجاني اهتمَّ بالتفصيل وذَكَرَ أنَّ الكلام على ضمِّ الكلامِ بطريقةٍ مخصوصةٍ غير كافٍ ولا بدَّ من معرفة تفاصيل هذه المسألة.

ثانيًا: أوجه الاختلاف:

1- التنظير والتطبيق:

على الرغم من جهود عبد الجبَّار وآرائه حول مفهوم النظم، إلَّا أنَّها لم ترتق لأن تُصبحَ نظريَّةً في النظم لها أصولها وقواعدها وأسسها، لأنَّها لا تعدو أكثر من تلميحات وإشارات ومحاولات لم تتبلور في نظريَّة واضحة المعالم، إذ قدَّم أفكاره مع قلَّة الأدلَّة والأمثلة التطبيقيَّة التي تثبت صحَّة أفكاره.[2]

على حين نجد عبد القاهر الجرجاني استطاع أن يجعل من أقواله وآرائه وإشاراته نظريَّةً متكاملة لها قواعدها وأسسها، مدعِّمًا كلَّ ذلك بأمثلة تطبيقيَّة من القرآن الكريم والشعر العربي وغيره من الأمثلة التطبيقيَّة لإثبات صحَّة ما ذهب إليه.

فعلى سبيل المثال عندما يذكر عبد القاهر الجرجاني مزايا التنكير، يدعم أقواله وآراءه بالعديد من الأمثلة من القرآن الكريم، ويفيض شرحًا لها لإقناع المتلقِّي بصحَّة آرائه، من ذلك استشهاده بقوله تعالى: □□□□□□□ [البقرة: 96][3]، وذلك لمجيء كلمة (حياة) نكرة في سياق الآية الكريمة، حيث قال: " إذا أنت راجعتَ نفسَك وأذْكَيْتَ حِسَّك، وجدت لهذا التنكير وأَنْ قيل: ((عَلى حَياةٍ))، ولم يقُلْ: ((على الحياة))، حُسْنًا ورَوْعةً ولُطْفَ موقعٍ لا يُقَادَرُ قَدْرُهُ، وتجدُكَ تَعْدَم ذلك مع التعريف، وتخرُج عن الأَرْيَحيَّة والأُنْس إلى خِلافهما. والسببُ في ذلك أنَّ المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، وذلك

---

[1] ينظر: النظم بين القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني، سلايم جوهرة وعامر صارة، ص: 57

[2] ينظر: النظم بين القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني، سلايم جوهرة وعامر صارة، ص: 71

[3] الآية كاملة: □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ [البقرة: 96]

أنَّه لا يحرِصُ عليه إلَّا الحيُّ، فأمَّا العادم للحياة فلا يصِـــحُّ منه الحرصُ على الحياة ولا على غيرِها. وإذا كان كذلك، صـار كأنَّه قيل: ((ولتَجِدنَّهم أحرصَ الناس، ولو عاشُـوا ما عاشُوا، على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضـي الوقت وراهِنه، حياةً في الذي يَسْتَقبِل)). فكما أنَّك لا تقول ههنا: ((أن يزدادوا إلى حياتهم الحياةَ)) بالتعريف، وإنَّما تقول: ((حياةً)) إذ كان التعريف يصـــلُح حيث تُراد الحياة على الإطلاق، كقولنا: ((كل أحد يحب الحياة، ويكرهُ الموت))، كذلك الحكم في الآية."[1]

من الملاحظ إسـهاب الجرجاني في شـرحه مجيء كلمة (حياة) نكرة في سـياق النظم في الآيـة الكريمـة، ولعلَّـه أراد " أن يبيِّن أنَّ للنظم أو التركيب [دور][2] في تحديد المعنى، باعتبار أنَّ التعريف والتنكير ضـــرب من ضـــروب البلاغة التي تراعي مقتضـــيات النظم."[3]

أمَّا عبد الجبَّار فإنَّه يكتفي بالإشارات السريعة إلى بعض الأمثلة من القرآن الكريم والشعر العربي وغيره، ليدعم آراءه من غير إسـهابٍ في الشـرح والتعليل، فعلى سـبيل المثال في حديثه عن أهميَّة موقع الكلمة في سـياق النظم نجده يذكر قوله تعالى: □□□□□□□□ □ [الأعراف: 78]، مع شرحٍ مختصرٍ لأسباب التقديم والتأخير في □□□□□□، فاكتفى بالقول: " كيف يجوز أنْ يقولَ لهم ذلك وقد هلكوا بأخذ الرجفة لهم؟ وجوابنا: أنَّ في ذلك تقديمًا وتأخيرًا ومثل ذلك يكثر في الكلام."[4]

2- الفصاحة:

يكمن الاختلاف بين القاضـــي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني حول مفهوم الفصـــاحة في أنَّ الأوَّل جعلها مرتبطة باللَّفظ عندما ينتظم في سـياق الصـورة الكلاميَّة،

---

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 288 - 289

(2) كذا في الأصل.

(3) النظم بين القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني، سلايم جوهرة وعامر صارة، ص: 77

(4) تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضـــي عبد الجبَّار، تح: أحمد عبد الرحيم السـايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة النافذة، الجيزة – مصر، ط1، 2006م، ص: 173 - 174

حين قال: " إنَّ المعاني وإن كان لا بدَّ منها فلا تظهر فيها المزية، وإن كان تظهر في الكلام لأجلها "[1]، فعبد الجبَّار استبعد مزية الفصاحة عن المعنى وإن كان لا بدَّ منه في الاعتبار حين ضم (نظم) الألفاظ في سياق الصورة الكلاميَّة، لأنَّه قد " نجد المعبِّرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الآخر، والمعنى متفق؛ وقد يكون أحد المعنيين أحسن وأرفع، والمعبر عنه، في الفصاحة أدون؛ فهو ممَّا لا بدَّ من اعتباره، وإن كانت المزية تظهر بغيره "[2].

فالفصاحة في رأي عبد الجبَّار تكمن في اللَّفظ المعبِّر عن المعنى عندما ينضم (ينتظم) مع غيره من الألفاظ في سياق النص، وقد أرجع السبب في ذلك إلى مسألة التزايد بين المعاني والألفاظ، حين قال: " على أنَّا نعلم: أنَّ المعاني لا يقع فيها تزايد، فإذن يجب أنْ يكونَ الذي يعتبر التزايد عند الألفاظ، التي يعبّر بها عنها، على ما ذكرناه "[3].

والضم (النظم) عند عبد الجبَّار لا يكون عشوائيًّا، بل ضمٌّ وفق طريقةٍ مخصوصة، يراعي فيها صانع النص قواعد النحو عند ترتيب الألفاظ في سياق النظم، فيراعي اختيار الكلمات المناسبة للسياق (الإبدال)، والموقع، والحركات الإعرابيَّة عند نظمها في سياق التعبير،" لأنَّه إمَّا أن تعتبر فيه الكلمة، أو حركاتها، أو موقعها؛ ولا بد من هذا الاعتبار في كلِّ كلمة؛ ثمَّ لا بدَّ من اعتبار مثله في الكلمات، إذا انضمَّ بعضها إلى بعض؛ لأنَّه قد يكون لها عند الانضمام صفة؛ وكذلك لكيفيَّة إعرابها، وحركاتها، وموقعها؛ فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنَّما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها."[4]

من الملاحظ أنَّ جميع المزايا التي يجب أن تُراعى عند الضم (النظم) في سياق الصُّورة الكلاميَّة عند عبد الجبَّار تخضع لقواعد النحو التي تخصُّ اللَّفظ المعبِّر عن المعنى، وفي ذلك يقول عبد الجبَّار: " فإذا صحَّت هذه الجملة فالذي به تظهر المزية ليس

(1) المغني، القاضي عبد الجبَّار، ج16، ص: 199

(2) المغني، القاضي عبد الجبَّار، ج16، ص: 199

(3) المغني، القاضي عبد الجبَّار، ج16، ص: 199 - 200

(4) المغني، القاضي عبد الجبَّار، ج16، ص: 199

إلَّا الإبدال الذي به تختص الكلمات، أو التقدم والتأخر، الذي يختص الموقع، أو الحركات التي تختص الإعراب، فبذلك تقع المباينة، ولا بدَّ في الكلامين اللذين أحدهما أفصح من الآخر أنْ يكونَ إنَّما زاد عليه بكلِّ ذلك، أو ببعضه "[1].

أمَّا عبد القاهر الجرجاني فقد جعل الفصاحة مرتبطة بالمعنى، إذ ردَّ على المعتزلة – ومن بينهم القاضي عبد الجبَّار - اللذين اعتبروا مزية الفصاحة قائمة في اللَّفظ المعبَّر به عن المعنى دون المعنى في ذاته، وقد تجلَّى ذلك في قوله: " واعلم أنَّه قد يجرِي في العبارة مِنَّا شيءٌ، هو يُعِيد الشُّبْهة جَذَعَةً عليهم، وهو أنَّه يقع في كلامِنا أنَّ ((الفصاحة)) تكوُن في المعنى دونَ اللفظ "[2]، وقد أرجع السبب في ذلك إلى عدَّة أمور، منها:

1- أنَّ اللَّفظ إنَّما وُصِفَ بالفصاحة لأجلِ معناه الذي تظهر فيه المزيَّة من خلال التعالق النحوي بين معاني الكلمات في سياق النصِّ، فمن غير الممكن أن توصف اللفظة المفردة بالفصاحة في موضع، ونجدها ذاتها في غير موضع مجرَّدةً من تلك الصفة، إلَّا إذا كان السَّبب في ذلك عائدًا إلى المعنى، قال الجرجاني: " إنَّا نرى/ اللَّفظة تَكُون في غاية الفَصاحة في موضع، ونَراها بِعَيْنها فيما لا يُحْصى من المواضع وليس فيها من الفَصَاحة قليلٌ ولا كثير. وإنَّما كان كذلك، لأنَّ المزيّة التي من أجلها نَصِفُ اللَّفْظَ في شأننا هذا بأنَّه فصيحٌ، مزيَّة تَحْدُثُ من بعد أن لا تكون، وتظهَرُ في الكَلِمِ من بَعْد أنْ يدخُلَها النظم. وهذا شيءٌ إنْ أنت طلبتَهُ فيها وقد جئتَ بها أفرادًا لم تَرُمْ فيها نَظْمًا، ولم تحدث لها تأليفًا، طلبتَ مُحالًا. وإذا كان كذلك، وجبَ أنْ يُعلَمَ قَطْعًا وضرورةً أنَّ تلك المزيَّة في المعنى دون اللَّفظ."[3]

(1) المغني، القاضي عبد الجبَّار، ج16، ص: 200

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 400

(3) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 401

والنظم الذي عناه الجرجاني هو توخِّي معاني النحو فيما بين الكلم[1]، ذلك " أنّا لا نوجب ((الفصاحة)) للفظةٍ مَقْطوعةٍ مرفوعةٍ من الكلام الذي هي فيه، ولكنَّا نُوجبها لهَا موصُولَةً بغيرها، ومعلَّقًا معناها بمعنى ما يليها."[2]

2- أنَّ تزايد الألفاظ لا يتحقَّق إلَّا بسبب مزايا في توخِّي معاني النحو بين معاني الكلمات، فانعكس ذلك على اللَّفظ فأدَّى إلى الزيادة أو النقصـــان من فصـــاحته، لأنَّ "((تَزَايد الألفاظ)) عبارة عن المزايا التي تَحْدُث من تَوَخِّي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكَلِم، لأنَّ التَّزايد في الألفاظ من حيث هي ألفاظٌ ونُطْقُ لسانٍ، مُحَالٌ."[3]

وإلى جانب ذلك نجد الجرجاني يردُّ على عبد الجبَّار حين جعل فصـاحة الكلمات عن طريق الضمِّ على طريقةٍ مخصوصة، فعلَّق على مصطلح (الضم) الذي جاء به عبد الجبَّار حين ذَكَرَ " أنَّ الفصـاحة لا تظهر في أفراد الكلام؛ وإنَّما تظهر في الكلام بالضـمِّ، على طريقةٍ مخصـوصـة "[4]، فأشـار الجرجاني إلى أنَّ الضـم (النظم) لا يعني ترتيب الكلمات في السـياق بجانب بعضـها البعض من غير توخٍّ لمعاني النحو فيما بينها، كما ذهب إليه عبد الجبَّار، إنَّما يكون بنظم الكلمات في سـياق الصـورة الكلاميَّة مع توخِّي معاني النحو فيما بينها، فيراعى فيها التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف ....، فهي مردُّ الفصـاحة في الكلام، قال: " فقولهم ((بالضَّـم))، لا يصـح أنْ يُرَاد به النُّطْق باللفظة بعد اللفظة، من غير اتِّصـالٍ يكون بين/ معنييهما، لأنَّه لو جاز أنْ يكونَ لمجرَّد ضَمِّ اللفظ إلى اللفظ تأثيرٌ في الفصاحة، لكان يَنْبغي إذا قيل: ((ضحك، خرج)) أنْ يحدُث في ضم ((خرج)) إلى ((ضحك)) فصاحة! وإذا بطلَ ذلك، لم يبقَ إلَّا أنْ يكونَ المعنى في ضَمِّ الكلمةِ إلى الكلمة تَوَخِّي معنًى من معاني النحو فيما بينهما."[5]

(1) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 62

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 402

(3) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 395

(4) المغني، القاضي عبد الجبار، ج16، ص: 199

(5) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 394

ويتابع الجرجاني في الردِّ على القاضـــي عبد الجبَّار حين جعلَ الضـــمَّ وفق طريقةٍ مخصوصة متعلِّقًا باللَّفظ فقط، فقال: " وقولهم: ((على طَرِيقةٍ مخصوصةٍ))، يُوجب ذلك أيضًا، وذلك أنَّه لا / يكون للطريقة = إذا أنت أردتَ مُجرَّد اللَّفْظِ = معنًى. وهذا سبيلُ كلِّ ما قالوه، إذا أنتَ تأمَّلته تراهم في الجميعِ قد دُفِعوا إلى جَعْل المزية في معاني النحو وأحكامِه من حَيْث لم يَشْعُروا، ذلك لأنَّه أمرٌ ضروريٌّ لا يمكن الخروج منه."[1]

يتَّضح ممَّا سبق أنَّ عبد القاهر الجرجاني من أنصار الصِّياغة التي ينصهر فيها اللَّفظ مع المعنى ليخرجَ عنصـــرٌ جديد ثالث هو الصُّـــورة الكلاميَّة المعبِّرة عن الغرض الذي يرمي إليه المتكلِّم، فإذا كان اللَّفظ موجودًا أولًا في النطق حين التلفُّظ به في صـــورةٍ خارجيَّة هي (الصـورة الكلاميَّة) فإنَّ المعنى المُعَبَّر عنه يكون أولًا في النفس، حيث يقوم المتكلِّم بترتيب المعنى في النفس ويختار له الألفاظ المناسـبة، ثمَّ يقوم بترتيب هذه الألفاظ في صـــورةٍ ذهنيَّةٍ، ومن ثمَّ تخرج تلك الصـــورة الذهنية إلى صـــورةٍ خارجيَّة (صـــورة كلاميَّة) حين التلفُّظ بها، وهو ما أطلق عليه الجرجاني اســـم النظم والصُّـــور والخواص والمزايا والكيفيَّات ونحو ذلك،[2] فقولنا : " ((الصُّـــورة))، إنَّما هو تمثيلٌ وقياسٌ لِما نعلمه بعقُولنا على الذي نراه بأبصـــارِنا، فلمَّا رأينَا البَيْنُونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصُّورة، فكان تَبَيُّن إنسانٍ من إنسان وفرس من فرس، بخصُوصِيَّة تكون في صُورة هذا لا تكون في صـــورة ذاك، وكذلك كان الأمْر في المصـــنوعات، فكان تَبَيُّنُ خاتَمٍ من خاتَمٍ وسِـوَارٍ من سِـوارٍ بذلك، ثمَّ وجدنا بين المعنَى في أحد البيتين وبيْنَه في الآخر بَيْنونةً في عقولنا وفَرْقًا، = عَبَّرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأنْ قلنا: ((للمعنى في هذا صُـــورةٌ غير صورته في ذلك))."[3]

---

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 394 - 395

[2] ينظر: شـرح تلخيص المفتاح (المطول)، سـعد الدين مسـعود بن عمر بن محمد التفتازاني، تح: ضـياء الدين عبد الغني القالش، دار اللباب، إسطنبول – تركيا، ط1، 2022م، ص: 66

[3] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 508

فاللَّفظ عند الجرجاني جسـدٌ روحه المعنى، ولا مزية للَّفظ من دون المعنى، وقد جعل الجرجاني الفصاحة مرتبطة بالكلام المعبِّر عن المعنى، حيث صرَّح أنَّ الفصاحة تكمن في ترتيب الألفاظ في سياق النظم مع حسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها في السياق، ولا يمكن لأحدٍ أن يصف اللَّفظ بالفصاحة إلَّا عندما ينتظم في السياق، وقد جسَّد ذلك في قوله: " وهل تجد أحدًا يقول: ((هذه اللفظة فصيحةٌ))، إلَّا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحُسْنَ [ملائمةِ][1] معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأَخواتها؟ وهل قالوا: ((لفظة متمكنة، ومقبولة))، وفي خِلافه: ((قَلِقةٌ، ونابيةٌ، ومُسْتَكْرَهة))، إلَّا وغَرضهم أنْ يُعبِّروا بالتمكُّنِ عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهُما، وبالقَلَق والنُّبُوِّ عن سوء التلاؤُم، وأنَّ الأُولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها، وأنَّ السابقةَ لمْ تصلح أنْ تكونَ لِفْقًا للتالية في مؤدَّاها؟ "[(2)].

فعبد القاهر الجرجاني أدرك أنَّ " اللَّفظ في خدمة الموقف الذي يُثار، فنحن حين نكتب لا نجمع ألفاظًا ونضعها الواحدة بجوار الأخرى وإنَّما نعبِّر عن معانٍ، ومن ثمَّ كانت الألفاظ وسيلة رمزيَّة لإثارة المواقف وليست هدفًا في ذاتها. ونجاح الألفاظ ليس في شكلها الخارجي، وإنَّما جمالها ونجاحها في قدرتها على توليد المواقف المطلوبة أو في الإفصاح عن المعنى المراد أداؤه."[(3)]

وأنا أرى – استنادًا إلى جلسةٍ حواريَّةٍ علميَّةٍ جرت بيني وبين أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور سمير أحمد معلوف - أنَّ الاختلاف المذهبي بين القاضي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني يرتبط ارتباطًا وثيقًا باختلاف رؤية كلٍّ منهما لمفهوم اللَّفظ والنظم، فالقاضي عبد الجبَّار فقيه معتزلي، ينطلق من وجهة نظر فقهيَّة، فعندما يدرس إعجاز القرآن لا يدرسه من وجهة نظر الإنسان اللُّغوي البحت، وإنَّما يدرس إعجاز

[1] كذا وردت في الأصل.

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 45

(3) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، د.ط، 1979م، ص: 317

القرآن من وجهة نظر الفقهاء، وبما أنَّه معتزلي فإنَّه سيطبِّق نظريَّة الاعتزال على قضيَّة الإعجاز، وأنَّ القرآن مخلوق، وقد جسَّـــد ذلك في قوله: " وأمَّا مذهبنا في ذلك، فهو أنَّ القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث "[1].

وإعجاز القرآن الكريم عند عبد الجبَّار كائنٌ في طريقة ترتيب الكلمات داخل النص القرآني، إلَّا أنَّه لم يتحدَّث عن هذه الطريقة بالتفصيل بل اكتفى باستخدام مصطلح (الضم) أي النظم، حين قال: " اعلم.. أنَّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام؛ وإنَّما تظهر بالضم، على طريقةٍ مخصوصة "[2].

واستخدام مصطلح الضم (النظم) عند عبد الجبَّار يرجع إلى مسألة فقهيَّة، إذ إنَّ الفقهاء لا يســـتخدمون مصـــطلح اللَّفظ عند الحديث عن القرآن الكريم، لأنَّ اللَّفظ معناه الرمي، ورد في لسان العرب: " اللَّفظُ: أَنْ ترمي بشيءٍ كان في فِيكَ، والفعل لَفَظَ الشيءَ. يقال: لَفَظْتُ الشـــيءَ من فمي أَلفِظُه لَفْظًا رميته "[3]، فهل القرآن الكريم بكلماته ملفوظات بمعنى أنَّها رُميت من فم الإنسان أو من غيره؟!

لذلك نجد عبد الجبَّار يستخدم مصطلح الضم (النظم)، وهو يعني اللَّفظ، لأنَّها من استخدام الفقهاء، وهو يُعنى بالألفاظ في تراكبها وترابطها داخل النص لتشكِّلَ نصًّا.

أمَّا عبد القاهر الجرجاني فهو عالمٌ لغويٌّ نحوي ينتمي للمذهب الأشـــعري، وهو ينطلق من وجهة نظر لغويَّة، إذ يعني بالنظم ترابط معاني الكلام داخل النص، قال: " ليس ((النَّظْم)) شـــيئًا إلَّا تَوَخِّي معاني النحو وأحكامِه ووُجُوهِه وفروقِه فيما بين معاني الكلم "[4].

---

(1) شرح الأصول الخمسة، قاضي القضاة عبد الجبَّار بن أحمد، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، ط3، 1996م، ص: 528

(2) المغني، القاضي عبد الجبار، ج16، ص: 199

(3) لسان العرب، ابن منظور، ج12، مادة (لفظ)، ص: 303

(4) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 525

وهو يُعنى بالمعاني، و هذه المعاني تتطلَّب صـــورة كلاميَّة لتُعبِّر عنها، ولـمَّا " كانت المعاني إنَّما تتبيَّنُ بالألفاظ، وكان لا سـبيل للمرتِّب لها والجامع شَـمْلَها، إلى أنْ يُعلمك ما صـــنَع في ترتيبها بفكره، إلَّا بترتيب الأَلفاظ في نُطقه، تجوَّزوا فكَنوْا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ، ثمَّ بالألفاظ بحذف ((الترتيب))، ثمَّ أَتْبعوا ذلك من الوصـــف والنَّعت مَا أبانَ الغرضَ وكشـف عن المراد "[1]، ولذلك نجدهم عندما يصـفون اللَّفظ " بما يدل على تفخيمـه لم يُريـدوا اللَّفظَ المنطوقَ، ولكن معنى اللَّفظِ الـذي دُلَّ بـه على المعنى الثَّـاني؛ والسَّـبب أنَّهم لو جعلوها أوصـافًا للمعاني لَمَا فُهِمَ أنَّها صـفاتٌ للمعاني الأُوَل[2] المفهومةِ، أعني الزِّياداتِ والكيفيَّاتِ والخصـــوصـــيَّاتِ. فجعلوا كالمُواضَـــعة فيما بينهم أنْ يقولوا: (اللفظ) وهم يريدون الصُّورةَ التي حدثتْ في المعنى والخاصيَّةَ التي تجدَّدت فيه."[3]

بعد إيضاح رؤية كلٍّ من القاضي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني حول مفهوم الفصـــاحة نسـتطيع القول: إنَّ عبد القاهر الجرجاني قد اتَّهم القاضـــي عبد الجبَّار في أنَّه جعل مزية الفصـــاحة في معاني النحو من دون أن ينتبه إلى ذلك، وبرأينا أنَّ ذلك إجحافٌ بحق القاضـــي عبد الجبَّار، فهل يُعقل لرجلٍ من مثله ألَّا يكون عالمًا بمعاني النحو، أو أنَّه لم يدركها؟، وهل حديثـه عن الإبدال والموقع والإعراب إلَّا بعض الأدلَّـة على فطنتـه لأهميَّة معاني النحو في أثناء عمليَّة ضم الكلمات في سياق التعبير**!؟**[(4)].

---

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 64

[2] لقد عنى الجرجاني " بالمعاني الأُوَل مدلولاتِ التراكيب والهيئات، وبالمعاني الثواني الأغراضَ التي يُصـــاغ لها الكلام، مثلًا إذا قلنا: (هذا أسـد في صـورة إنسـان، فالمعنى الأوَّل هو مفهومُ هذا الكلام، والمعنى الثاني أنَّه شـجاعٌ (...) فـالمعنى الثـاني هو الـذي يُرادُ إيراده في الطُّرق المُختلفةِ، والمفهومُ من تلـك الطُّرق هو المعنى الأوَّل ": المطول، التفتازاني، ص: 65

[3] المطول، التفتازاني، ص: 66

[(4)] ينظر: معايير الفصـاحة عند القاضـي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني (دراسـة ومقارنة)، (رسـالة ماجسـتير)، تفاحة بعطوط، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشـــعبية، 2015 – 2016م، ص: 90 وما بعدها.

لقد ذهب العديد من النُّقَّاد العرب المعاصـــرين إلى ردِّ اتهامات عبد القاهر الجرجاني لعبد الجبَّار، من ذلك ما ذكره شـوقي ضـيف، من أنَّ عبد القاهر " يبالغ في أنَّ ذلك سقطَ من عبد الجبَّار دون أنْ يشعر به، وهل يضع أي مبتكر لنظريَّة نظريَّته الجديدة دون شعور بها."[1]

فعبد الجبَّار بالرغم من تفضيله اللَّفظ وجعله أساس المزية في الفصاحة، إلَّا أنَّه " لا يسقط المعاني جملة، فقد أثبت لها حُسْـنًا في الفصــل الأوَّل ولكنَّه لم يعتدّ بها في الفصــاحة، إذ مضى يُسجِّل في براعةٍ نظريَّته في الوجوه التي تتفاوت بها ارتفاعًا وهبوطًا، وقال إنَّها لا ترجع إلى المعاني بحال، وإنَّما ترجع إلى انتظام الكلمَات في التعبير "[2]، حين قال: " اعلم.. أنَّ الفصـاحة لا تظهر في أفراد الكلام؛ وإنَّما تظهر في الكلام بالضـم، على طريقةٍ مخصوصة، ولا بدَّ مع الضم من أنْ يكونَ لكلِّ كلمةٍ صفة؛ وقد يجوز في هذه الصفة أنْ تكونَ بالمواضــعة التي تتناول الضــم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخلٌ فيه، وقد تكون بالموقع؛ وليس لهذه الأقســـام الثلاثة رابع، لأنَّه إمَّا أنْ تعتبر فيه الكلمة، أو حركاتها، أو موقعها؛ ولا بدَّ من هذا الاعتبار في كلِّ كلمة؛ ثمَّ لا بدَّ من اعتبار مثله في الكلمات، إذا انضـمَّ بعضـها إلى بعض؛ لأنَّه قد يكون لها عند الانضـمام صـفة؛ وكذلك لكيفيَّة إعرابها، وحركاتها، وموقعها؛ فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنَّما تظهر مزية الفصـاحة بهذه الوجوه دون ما عداها. فإن قال: فقد قلتم في أنَّ جملة ما يدخل في الفصــاحة حســن المعنى؛ فهلَّا اعتبرتموه؟. قيل لـه: إنَّ المعـاني وإنْ كـان لا بدَّ منهـا فلا تظهر فيهـا المزيـة، وإنْ كـان تظهر في الكلام لأجلها؛ ولذلك نجد المعبِّرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصـح من الآخر، والمعنى متفق؛ وقد يكون أحد المعنيين أحسن وأرفع، والمعبَّر عنه، في الفصـاحة أدون؛ فهو ممَّا لا بدَّ من اعتباره، وإن كانت المزية تظهر بغيره "[3].

---

(1) البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط9، د.ت، ص: 118

(2) البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص: 118

(3) المغني، القاضي عبد الجبار، ج16، ص: 199

وقد ردَّ الناقد نصر أبو زيد أساس نظريَّة النظم الجرجانيَّة للقاضي عبد الجبَّار، من خلال حديثه عن تفرقة عبد الجبَّار بين الموقع والإعراب في سياق النصِّ، قال: " لا شكَّ أنَّ تفرقة عبد الجبَّار بين ((الموقع)) و((الإعراب)) تفرقة هامَّة هنا من حيث أنَّ للموقع دلالة مغايرة لدلالة ((الإعراب)) وإنْ كان كلاهما يقع على مستوى العلاقات السياقية. وإذا كان المقصود ((بالإبدال)) الذي تختصُّ به الكلمات مستوى العلاقات الدلاليَّة أمكن لنا القول إنَّ القاضي عبد الجبَّار قد وضعَ بذلك الأساس المكين الذي بنى عليه عبد القاهر نظريَّته في النظم."[1]

وإلى جانب ذلك نجد الناقد شوقي ضيف ذهب إلى أنَّ ما جاء في كتاب (دلائل الإعجاز) للإمام عبد القاهر الجرجاني كان تفسيرًا مفصَّلًا لما أجمله عبد الجبَّار في هذا الفصل القصير وما ذهب إليه من أنَّ العبرة في الفصاحة التي بها يتفاضل الكلام إنَّما هي في مواقعه وكيفيَّة إيراده وطريقة أدائه وما يجري فيه من نِسَب وعلاقات نحويَّة."[2]

ومهما يكن الخلاف بين القاضي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني فلا أحد يستطيع أن يُنكر جهودهم التي بذلوها في التقعيد لمفهوم النظم حتَّى أصبح نظريَّةً متكاملة لها قواعدها وأصولها، والتي أصبحت من الشروط الأساسية التي يجب على صانع النص أن يتَّبعها في كلامه حتَّى تتَّصف صوره الكلاميَّة بالفصاحة.

ثالثًا: نتائج البحث:

- إعجاز القرآن الكريم عند القاضي عبد الجبَّار كائنٌ في طريقة ترتيب الكلمات داخل النص القرآني، إلَّا أنَّه لم يتحدَّث عن هذه الطريقة بالتفصيل بل اكتفى باستخدام مصطلح (الضم) أي النظم.

---

[1] مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1990م، ص: 155

[2] البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص: 119 - 120

- مصـــطلح الضـــم (النظم) عند عبد الجبَّار يرجع إلى مســـألة فقهيَّة، إذ إنَّ الفقهاء لا يســـتخدمون مصـــطلح اللَّفظ عند الحديث عن القرآن الكريم، لأنَّ اللَّفظ معناه الرمي، لذلك نجد عبد الجبَّار يســـتخدم مصـــطلح الضـــم (النظم)، وهو يعني اللَّفظ، لأنَّها من استخدام الفقهاء، وهو يُعنى بالألفاظ في تراكبها وترابطها داخل النص لتشكِّلَ نصًّا.
- إنَّ عبد القاهر الجرجاني عالمٌ لغويٌّ نحوي ينتمي للمذهب الأشعري، وهو ينطلق من وجهـة نظر لغويَّـة، إذ يعني بـالنظم ترابط معـاني الكلام داخـل النص، وهو يُعنى بالمعاني، وهذه المعاني تتطلَّب صورة كلاميَّة لتُعبِّر عنها.
- إنَّ عبد القاهر الجرجاني قد اتَّهم القاضي عبد الجبَّار في أنَّه جعل مزية الفصاحة في معاني النحو من دون أن ينتبه إلى ذلك، وبرأينا أنَّ ذلك إجحافٌ بحق القاضـــي عبد الجبَّار، فهل يُعقل لرجلٍ مثله ألَّا يكون عالمًا بمعاني النحو، أو أنَّه لم يدركها؟

رابعًا: المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

1- الإتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين السُّـــيُوطِيِّ، تح: محمد أبو الفضـــل إبراهيم، وزارة الشـــؤون الإســـلاميَّة والأوقاف والدعوة والإرشـــاد، المملكة العربيَّة السُعُوديَّة، د.ط، د.ت، مج4.

2- أســـاس البلاغة، الزمخشـــري، تح: محمد باســـل عيون الســـود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م، ج2.

3- إعجاز القرآن، الباقلاني، تح: أحمد صقر، دار المعارف بمصر، د.ط، د.ت.

4- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيَّان التوحيدي، المكتبة العصرية، تح: هيثم خليفة الطعيمي، صيدا – بيروت - لبنان، د.ط، 2011م.

5- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحســـن علي بن يوســـف القفطي، تح: محمد أبو الفضـــل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة - مصـــر، مؤســـســـة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط1، 1986م، ج2.

6- الإيضـــاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط3، 1993م، ج1.

7- البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد الســـلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، القاهرة، ط7، 1418هـ - 1998م، ج1.

8- تأويل مشـكل القرآن الكريم، أبو محمد عبد الله بن مسـلم بن قتيبة، تح: السَّـيِّد أحمَد صَقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973م.

9- تـاريخ مدينـة الســـلام، الخطيب البغدادي، تح: بشـــار عوَّاد معروف، دارالغرب الإسلامي، ط1، 2001م، مج11.

10-تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضـــي عبد الجبَّار، تح: أحمد عبد الرحيم الســـايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة النافذة، الجيزة – مصر، ط1، 2006م.

11-الحيوان، الجاحظ، تح: عبد الســلام محمد هارون، شـركة مكتبة ومطبعة مصـطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1385هـ - 1965م.

12-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شـــاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م.

13-ســـير أعلام النبلاء، شـــمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: شـــعيب الأرنؤوط وعلي أبو زيد، مؤسـسـة الرسـالة للطباعة والنشـر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط9، 1993م، ج13.

14-شرح الأصول الخمسة، قاضي القضاة عبد الجبَّار بن أحمد، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، ط3، 1996م.

15-شـرح تلخيص المفتاح (المطول)، سـعد الدين مسـعود بن عمر بن محمد التفتازاني، تح: ضياء الدين عبد الغني القالش، دار اللباب، إسطنبول – تركيا، ط1، 2022م.

16-طبقات النحويِّين واللغويِّين، أبو بكر محمد بن الحسَـن الزُّبيْديّ الأندلسـيّ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط2، د.ت.

17-فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ط، 1974م، مج2.

18-الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، القاهرة، ط3، 1988م، ج1.

19-لسان العرب، ابن منظور، تح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط3، 1999م، ج14.

20-المعجم الوسيط، نخبة من اللغويِّين بمجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، ط4، 2004م.

21-معيار العلم في المنطق، أبو حامد الغزالي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1990م.

22-المغني في أبواب التوحيد والعدل (إعجاز القرآن)، القاضي أبو الحسن عبد الجبَّار الأسدابادي، تح: أمين الخولي، د.ط، د.ت، ج16.

23-مناهِلُ العرفَان في عُلُومِ القُرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: فوَّاز أحمد زمَرلي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1995م، ج1.

24-نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط3، 1985م.

25-النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني، تح: عبد العليم، مكتبة الجامعة الملَّية الإسلامية، دهلي، د.ط، 1934م.

26-الوافي بالوفيَّات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تح: أحمد الأرنأووط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 2000م، ج3.

27-وَفَياتُ الأعْيَانِ وأنباءُ أبناءِ الزَّمانِ، أبو العبَّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلّكَان، تح: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مج3.

- **المراجع العربيَّة:**

1- أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1998م.

2- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط15، 2002م.

3- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط9، د.ت.

4- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت، ج2.

5- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، د.ط، 1979م.

6- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تر: عبد الله الخالدي وجورج زيناتي، تح: علي دحروج ورفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ط1، 1996م، ج1.

7- مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2003م.

8- مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1990م.

9- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، محمد خلف الله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ط، 1947م.

10-نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، مسعود بودوخة، مركز الكتاب الأكاديمي، عمَّان – الأردن، ط1، 2018م.

11-نظريَّةُ النَّظْمِ تاريخ وتطوُّر، حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، د.ط، 1979م.

- **الرسائل الجامعيَّة:**

1- معايير الفصاحة عند القاضي عبد الجبَّار وعبد القاهر الجرجاني (دراسة ومقارنة)، (رسالة ماجستير)، تفاحة بعطوط، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2015 – 2016م.

2- نظريَّة النظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث، عبد الله نايف عنبر، (رسالة دكتوراه)، الجامعة الأردنية، 1991م.

3- النظم بين القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني (دراسة مقارنة)، سلايم جوهرة وعامر صارة، رسالة ماجستير، جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية، 2018 / 2019م.

- **المجلَّات:**

1- الأصول الفكرية لنظرية النظم عند " عبد القاهر الجرجاني " دراسة نظريَّة، جرماني الزهرة، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، جامعة دكتور مولاي الطاهر – سعيدة (الجزائر)، مج5، العدد2، 2021م.

2- في جماليات الكلام، سمير أحمد معلوف، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج (92)، ج (3-4).